منتخبات

من خواطر مركوس اوريليوس

تمهيد

هو مركوس اوريليوس انطونينوس الامبراطور والفيلسوف الروماني

وُلد في رومية سنة ١٢١ م . وكان ابوهُ من كبار الرومانيين وخالهُ انطونينوس بيوس من الذين تولوا الامبراطورية فلما مات سنة ١٦١ تولاّها مركوس اوريليوس الى زمن موته سنة ١٧٩ وقد قضى اكثر مدة ملكه في الحروب . وأُحسنت تربيتهُ في صغره وهو يشكر الآلهة في كتابهِ الاول على صلاح اجدادهِ وابويهِ واختهِ ومعلميهِ ورفقائهِ وانسبائهِ واصدقائهِ . ولما بلغ السنة الحادية عشرة من عمره لبس ثوب الفلاسفة وهو ثوب بسيط خشن وجدّ في الدرس ومال الى شظف العيش حتى اضرّ بصحتهِ

وكان مذهبهُ في الفلسفة مذهب الرواقيين الذين تلقّبوا بهذا الاسم من رواق في اثينا كان يعلّم فيهِ الفيلسوف زينون (نحو سنة ٣٥٠ ق . م) واضع هذه الفلسفة ومن خلفهُ في تعليمها وخلاصتها من حيث الكون انهُ مؤلف من اصلين ازليين احدهما فاعل والآخر مفعول اما الاول فهو الله الواحد ولو تعددت اسماؤهُ ولا يقال انهُ خلق المادة لانها قديمة مثلهُ بل انهُ الفاعل بها والمكوّن لها حتى صارت لها الصورة الحاضرة المعروفة . وقالوا ان المادة مؤلفة من دقائق اصلية يتحي تركيبها بعضها مع بعض الى الكون الطبيعي الذي لا يلبث على حال واحدة بل يتغيّر دواماً ويركّب اشياء جديدة من القديمة . وقال سنيكا وهو من اكبر فلاسفتهم انهُ ليس في الكون الاّ شيئان هما السبب والمادّة اما السبب فمنتشر في المادّة وهو المحرّك والمدبّر لها وهو عاقل حكيم يدبر اعمالهُ فيها لاغراض مقصودة ينشأ منها نظام العالم . وقالوا ان في الانسان روحاً ونفساً اما الروح فمشتركة بينهُ وبين بقية الاحياء من نبات وحيوان وهي هالكة واما النفس فهي نفحة من الله وكأنها قسم منهُ وهي القوة العاقلة المرشدة الى معرفة الخير والشر الحاكمة على الاهواء والاعمال اذا اطاعها الانسان . ولكنهم اختلفوا في بقائها بعد الموت بذاتيها والظاهر من كلام اوريليوس انهُ كان متردداً في المسئلة مفوّضاً الامر الى الله . وقال بعضهم " ليس الموت شيئاً يُعتدّ بهِ ولا هو شرّ بل هو غياب الشر " وقال غيرهم " لا شيء بعد الموت ولا الموت نفسهُ شيء "

واما الحياة الادبية عندهم فكان المبدأ الرئيسي فيها ان يعيش الانسان بحسب ما يؤدي اليهِ طبيعهُ وطبع الكون اي انهُ يطيع القوة العاقلة فيهِ بناء على ان العمل بحسب الطبيعة هو العمل بحسب العقل وما كان مخالفاً للعقل فهو مخالف للطبيعة وهو عبارة عن الطاعة للنواميس الادبية التي تأمر بالخير وتنهى عن الشر بحيث يكون الانسان صادقاً مخلصاً عادلاً باراً لا كاذباً منافقاً ظالماً شريراً . وكل ذلك لا يختلف البتة عما تأمر بهِ الاديان او تنهى عنهُ الاَّ ما حملهُ بعضها من الكذب والجور على من لا يدينون بدينهم وهو حكم قاطع على فساد كل مذهب يقول هذا القول . وجلّ تعاليمهم انهُ يجب على الانسان ان يتحرَّر من اهواء النفس وان لا يكترث لفرح او حزن وان يخضع بلا شكوى للضرورة المتسلطة على كل ما يكون

وشدَّدوا في التحريض على امرين الاول انهُ لما كان الانسان جزءاً من النظام الاجتماعي وجب عليهِ ان يوجه اعمالهُ كلها لخير الناس الذين هم اشباههُ في الجنسية والعقل . ومن اقوال اوريليوس في ذلك " اننا خُلقنا للمشاركة في العمل كما خُلق اليدان والرجلان والجفنان والفكان وعلى ذلك يكون ما يعملهُ بعضنا ضد البعض الآخر مخالفاً للوضع الطبيعي "

والامر الثاني الصفح عن الذنوب وفي ذلك يقول اوريليوس " افضل السبل للانتقام من المسيء اليك ان لا تصير مثلهُ . اذا اساء اليك احد فانظر في الحال الى ما يسوقهُ الى الخير او الشر فترى انهُ يستحق الشفقة لا الغضب " . غير ان هذا النوع من التجاهل لا يُقبل عند الجمهور وانما يجب الصفح عما لا يضرُّ بالصحة العامة او في ما اذا كان المسيء لا يعلم ماذا يفعل . ومن هذا القبيل قول المسيح " يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون " واما في غير ذلك حيث يريد الشرير السوء عمداً فكثيراً ما لا يرتدع الاَّ اذا خاف ان يعامَل بالمثل او خاف من العقاب الذي يوجبهُ الشرع وهو جزاء لهُ وعبرة لغيرهِ . والناس مختلفون في ذلك فيصح فيهم قول الفيلسوف العربي ابي الطيب المتنبي

اذا انت اكرمت الكريم ملكتهُ وان انت اكرمت اللئيم تمرَّدا

سُئل كنفوشيوس الذي يدين اهل الصين بدينهِ هل يجب ان يجازى المسيء بالاحسان قال فبماذا اذن تجازون المحسن بل يجب ان يجازى المسيء بالعدل والمحسن بالاحسان . وقال ان من يكافئ الشر بالخير يحاول دفع الضر عن نفسهِ

وقيل بل يجب الصفح عن كل الذنوب كيف كانت وبلا قيد وهو ما ذهب اليهِ اوريليوس ورفقاؤهُ الرواقيون وما جعلهُ الدين المسيحي ركناً ثابتاً وشرطاً لازماً بقولهِ ان الله لا يغفر ذنوبنا الاَّ اذا غفرنا لمن اذنب الينا

"والخواطر" او التاملات المسوبة الى اوريليوس كتاب صغير مؤلف من اقوال حكمية مفيدة كتبها في ازمنة مختلفة بحسب ما خطرت له . قيل كتبها لنفسه وقيل لابنه كومودوس لكن ابنه لم يعبأ بها والاصل اللاتيني معقّد العبارة بعضهُ لا يفهم ولذلك كانت ترجمتهُ الى لغة اخرى امرًا عسيرًا جدًّا . وقد اخذتُ المنتخبات الاتية عن ابلغ ترجمة الى اللغة الانكليزية وعنيت بتوضيح العبارة وتلخيص المعنى وتنسيق المسائل

الصلاح

لا يتمّ الصلاح الاَّ بمراعاة المبادىء العامّة التي يتعلق بعضها بطبع الكون والبعض الآخر بالطبع الخاصّ بالانسان

لاسبيل لك مع الناس الاَّ المحبة ثم فانظر الى فضائلهم بالمدح والى ذنوبهم بالاشفاق والرفق والى اذاهم بالصفح

اجعل حياتك صادقة مستقيمة الى غاية ما يمكن واصنع بالهدوّ ما يوجبهُ الزمان والعمل ولا تشغل نفسك بالهمّ في ما قد يأتي بهِ المستقبل

اذا انتهجتَ الصلاح والحياء والصدق والقناعة والشهامة فاحرص عليها واذا عدلت عنها فارجع اليها في الحال

كما تكون افكارك هكذا تكون اخلاقك . لا تشدّق في ما يجب ان يكون المرء عليهِ من الصلاح بل كن كذلك

العمل

كثيرًا ما يفرّط الانسان في اهمال العمل كما قد يفرّط في العمل

كلّ صادر عن عملٍ مثل نفسك هل اندم اذا فعلتهُ

اذا عملتَ شيئًا لخير العام فقد نلت ثوابك . فاذكر ذلك دائمًا ايها الانسان ولا تكفّ عن عمل الخير

احصد حصاد الحياة كما تحصد سنابل الحنطة البالغة

مرّن نفسك ولو على الاشياء التي تيأس من عملها وخذ مثالاً على ذلك اليد اليسرى فانها اقدر على ضبط العنان من اليمنى بسبب التمرين

لكل موجود غاية فما هي غاية وجودك . ان قلت هي اللذّة فانعقل يخالفك في ذلك

اذا لم يكن الشيءُ حلالاً فلا تفعلهُ واذا لم يكن حقًّا فلا تقلهُ

لا يزعجني الاَّ امر واحد فقط وهو اذا عملتُ شيئاً لا يبيحهُ الطبع البشري او لا يبيح كيفيتهُ او لا يبيحهُ الزمن الحاضر

يجب ان تقدّر قيمة المرء بالمطالب التي يسعى اليها

لا تعمل شيئاً بلا تبصُّر وغرض مقصود ولتكن كل اعمالك عائدة لخير العموم

إعتنِ بالامر الذي امامك سواءٌ كان رأياً او قولاً او فعلاً

كل ما تدعوك اليهِ عزَّة النفس بادر اليهِ في الحال بلا تردّد ولا ارتياب

الغضب

متى هاج الغضب فيك اذكر ان من شيم الرجال الحلم واللين لا اعطاء النفس هواها . وكلما كان المرء خالياً من حدّة الغيظ كان اقرب الى القوة

الضيق والصبر

لتكن حاجاتك قليلة ولا تبثّ همك الى احد

كل ما يحدث انما يحدث بنوع اما انك مجبول بالطبع لاحتماله او لعدم احتماله . فان كان مما تحتملهُ بالطبع فلا تشكُ وان كان مما لا يستطيع طبعك ان يحتملهُ فلا تشكُ . ولكن اذكر انك قادر بالطبع ان تحتمل ما تعلم انهُ يكون لك منهُ فائدة او ما يجب عليك احتمالهُ في كل مكان وزمان لك طاقة على التسليم بحالتك الحاضرة والانصاف لمن حولك من الناس ما اتاك من ضيق فمن العدل لانك اخترت الصلاح غداً لا اليوم

القلق والضجر

لا تقلق فان كل الامور جارية بحسب طبيعة الكون وعما قريب لا يعرفك احد ولا مكان . ثم انظر الى عملك وتدبّرهُ واسعَ الى الصلاح وقل قولاً عادلاً بالبشاشة والحشمة وبدون رياء

لقد اصاب كتبة الروايات في قولهم اذا اهملتني الآلهة انا واولادي فلذلك سبب وقولهم لا تضجر ولا تقلق مما يقع

وفّق نفسك لاحوال نصيبك في الحياة وأحبب الناس الذين قدّر لك ان تعيش معهم محبة خالصة ولا تضجر من حالتك الحاضرة

لا تقلق لما يأتي لانهُ اذا اتى فسيكون لك من قوة التدبير ما لك الآن في الامور الحاضرة

قصر الحياة والموت

عما قريب تنسى كل شيء وعما قريب ينساك كل احد

عما قريب يغطيك التراب جميعاً ثم يتغير التراب وما ينشأ من هذا التغيير يتغير ايضاً وهكذا الى الابد . فاذا تأمل الانسان في هذه التقلبات المتعاقبة كتعاقب الامواج ونظر الى سرعة سيرها احتقر كل ما هو فاني

انظر الى كل ما هو كائن فترهُ يتحولُ ويتغير ويفسد ويتفرّق وترى ان كل شيء مجبول بالطبع ليسعى الى الموت

اذكر انهُ عما قريب لا تكون شيئاً ولا يبقى شيء مما تراهُ

اذكر ان الذين تضجروا من نوائب الدهر والذين اشتهروا بالصيت الذائع والذين نالهم حظ من الاسواء والعداوة قد هلكوا كلهم ولم يكن من امرهم الاَّ دخان ورماد وقصة تحكى او لا تحكى

ما اقصر ما قدّر للانسان من الزمان وما اضيق القسم الذي يشغلهُ من المكان وما اصغر البقعة التي يدبّ عليها من مجموع الارض . فلا شيءَ كبيراً الاَّ العمل الصالح

لا تعش كأنَّ لك عشرة آلاف سنة ترميها ضياعاً فان الموت واقف عند بابك فاصلح لشيء ما دمت حياً وانت قادر عليهِ

شرّ الناس

الناس يحتقر بعضهم بعضاً ويملّق بعضهم بعضاً ويريدون التفوّق بعضهم على بعض ويتذللون بعضهم لبعض

ما بلغ احد من السعادة ما اذا جاءت ساعة موته لم يسرّ بعض الناس بذلك . فانهُ اذا كان صالحاً عاقلاً قالوا قد تخلصنا من هذا المعلم الذي يعيب اعمالنا . هذا ما يقولونهُ في الرجل الصالح واما نحن فكثيرون يريدون موتنا لاسباب شتّى . فاذكر ذلك ايها الانسان متى اتاك الموت ومت راضياً وقل اني راحل عن الحياة وهو ما يريدهُ رفقائي الذين كثيراً ما سعيت الى خيرهم لعلهم يجدون في ذلك شيئاً من النفع لانفسهم

اذا اخطأ اليك احد فاذكر هذه الامور . اولاً انك انت ايضاً تخطئ في اشياء كثيرة وانك بشرٌ كغيرك وانك اذا امتنعت عن بعض الذنوب فلك الميل اليها ولا تعملها جبناً او خشية العار او لسبب اخر حقير . ثانياً انك لا تدري هل ما يعملهُ الناس شرٌّ مقصود او لا لان كثيراً من اعمالهم ناشئة عن مقتضى الحال وانهُ كثيراً ما يتعسر على الانسان الحكم المصيب

على اعمال غيرهِ . ثالثاً متى ضايقك الناس واحزنوك اذكر ان حياة الانسان ليست الا لمحة اذا انقضت صرنا جميعاً تراباً . رابعاً ان ما يأتي علينا من الغضب وانقلق اشدُّ مما نشعر بهِ في انفسنا لا مما يكون في الاعمال الجائرة التي تسببهُ . خامساً ان الخلق الطيب لا يقهر اذا كان صحيحاً لا تصنعاً لانهُ ماذا يفعل بك الجائر الظالم اذا دُمت على المعروف والاحسان اليهِ . سادساً انتظار عدم الشرّ من الاشرار جنون وتحال لانك اذا رأيتهم يسيئون الى غيرك فكيف تنتظر انهم لا يسيئون اليك

مذمّة الناس

اذا ذمك احد او ابغضك او قال فيك سوءاً فانظر اليهِ وتبصَّر في حالهِ تَرَى ان لا داعي للاهتمام بما يظنهُ فيك خيراً او شراً (وهو كقول ابي الطيب المتنبي

واذا اتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بانّي كاملُ)

لا تمكّن احداً من قولٍ يصدق فيك انك منافق شرير بل لِيكذبنَّ في ما يقولهُ . وهذا في طاقتك لان من يستطيع ان يتعك عن الصلاح والاخلاص

اذا احتقرني احد فهو وشأنهُ واما انا فشأني الحذر من كل قول او عمل يوجب الاحتقار . واذا ابغضني احد فهو وشأنهُ واما انا فشأني اللطف والمعروف لكل احد

التعويل على النفس

طب نفساً ولا تطلب عوناً او راحةً من احد فان المرء يجب ان يقف منتصباً من تلقاء نفسهِ لا مسنوداً من غيرهِ

انا لا اختار قبول معروفٍ لا اقدر على مقابلتهِ بالمثل

السعادة

قد عرفت من الخبرة ان السعادة ليست في المباحث العقلية ولا في الثروة ولا في الشهرة ولا في الملذات ولا في مكان . فاين هي اذن . هي في عمل ما يقتضيهِ العقل وهو انهُ لا خير للمرء الا الانقياد الى المبادىء التي ينشأ منها العدل والعفة والمروّة والحرية وان لا شرَّ لهُ الا في مخالفة ما ذُكر

حِكَم متفرقة

لا حاجة الى الخوف لان لك ان تنظر الى ما يجب عملهُ فان كان واضحاً فاذهب فيهِ وان كان مبهماً فقف واستشر خيراً حكيماً

في الكون إما ضرورة محتومة ونظام لا يُقهر واما عناية ربانية واما تشويش لا قصد فيه ولا مرشد لهُ. فان كانت الضرورة التي لا تغلب فما الفائدة من مقاومتها وان كانت العناية التي تلتمسها فكن مستحقًّا لها وان كان التشويش فلا مدبر فلك في نفسك عقل تتدبر به

كيف يمكن ان الله الذي اتقن كل امور الكون واظهر احسانهُ للبشر يهمل اهل الصلاح الذين تقربوا اليهِ متى جاء الموت ويقضي عليهم بالفناء والانقراض

متى شعرت بالهمّ والغمّ لامر اصابك فقد نسيت ان كل ما يحدث انما يحدث تبعًا لنواميس الكون . ونسيت انهُ اذا اضرَّك احد فليس ذلك من شأنك . ونسيت ان كل ما يجري قد جرى كذلك دائمًا وسيجري كذلك وهو جارٍ الان في كل مكان

من أساء فقد أساء الى نفسهِ . ومن ظلم فقد ظلم نفسهُ لانهُ صيَّر نفسهُ رديئًا

كما تستقيح في الغسل كل قذرٍ فيك أو في الماء الذي تغتسل بهِ فهكذا اكره كل ما تراهُ في الحياة وعلى الارض من القذر

يوحنا ورتبات

التلغراف اللاسلكي

كثر الخلاف الآن بين الانكليز والاميركيين والالمانيين في اي نوع من انواع التلغراف الذي لا سلك لهُ افضل من غيرهِ وايها يجب استعمالهُ دون سواهُ فان الانكليز اعتمدوا على اسلوب مركوني والاميركيين والالمانيين على غيرهِ . والذين خالفوا الانكليز يحاولون سلب مركوني حقهُ في استنباط هذا التلغراف اوحمل الحكومة الانكليزية على جعل الانواع كلها متماثلة حتى تستطيع ان تبادل الاشارات التلغرافية . والحكومة الانكليزية تفضل ان تستقل بآلات مركوني حتى تبقى اخبارها محصورة فيها لا يطَّلع احد عليها . وقد كتب المستر هيكر هيتون احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي في هذا الموضوع مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر جاء فيها على خلاصة تاريخ هذا التلغراف وتقدمهِ ومزاياهُ على غيرهِ فاقتطفنا منها ما يأتي

وُلد مركوني في مزرعة جريفون قرب بولونيا بايطاليا سنة ١٨٧٤ وتعلَّم في كلية بولونيا . ولم يبلغ الرابعة او الخامسة من سنهِ حتى ظهر فيهِ الميل الى الاختراع فكان يجمع ثم العلّيق ويعصر منهُ حبرًا يلطخ بهِ ثيابهُ